

الفصل الثاني عشر الذاكرة أو الحافظة

انا نخضع لنظام يكاد يكون مستبدا .

فحيث ان كل قدرة من القدرات التي نملكها ، هي — اما كليا أو جزئيا — حصيلة تفاعل ترابطاتنا ، فمن الطبيعي بعد معالجة موضوع الترابط أننا كنا نعالج موضوع الذاكرة كما عالجتنا موضوع الانتباه بعد موضوع الاهتمام أو الشغف . ولكن حيث انا تناولنا هذه العمليات الأخيرة أولا فيتحتم علينا أن نتناول الذاكرة الآن بدون أى تأجيل ، لأن ظواهر الذاكرة أو الحافظة تمتد من بين أبسط النتائج وأكثرها مباشرة لحقيقة أن عقلنا — بالضرورة — آلة ترابطية تعمل بالتداعي .

ولا يوجد مثل أكثر سموا وشهرة لتبيين خصوبة قوانين الترابط — كمبادئ التحليل النفسى .

وبالإضافة الى ذلك فان الحافظة تعتبر من أهم القدرات فى قاعة الدرس ، بحيث إنكم تلهفون على معرفة ما يقسمه علم النفس بين أيديكم فى هذا الصدد من عون .

فى سالف الزمان وسابق العصر والأوان كنتت اذا سألت شخصا أن يشرح لك السبب فى تذكره فى تلك اللحظة شيئا معينا بذاته وقع له فى سابق حياته ، فالاجابة الوحيدة التى كان يستطيعها هى أن روحه مزودة بطاقة ، أو موهوبة بمقدرة تسمى الذاكرة .

وإن الوظيفة الطبيعية الفطرية الموقوفة على هذه الطاقة هي أن تتذكر ،
وإنه — لذلك — يتعين عليه بالضرورة عندئذ أن يكون عارفا بهذا الشيء
المعين الذي وقع له في سابق حياته . هذا التفسير بالموهبة أو الطاقة شيء
ألغاه التفسير بالترابط أو التداعي الغاء تاما .

فإذا كنت لا تعنى بقولك ان لديك موهبة ذاكرة شيئا أكثر من حقيقة
أنك تستطيع أن تتذكر ولا شيء أكثر من اسم مجرد تطلقه على قوتك
الباطنية لتذكر الماضي ، فلا ضير في ذلك . لأن عندك بالفعل هذه الموهبة
بدليل أنك تملك بلا جدال — هذه القوة .

ولكن اذا كنت تعنى بالموهبة أو القدرة مبدأ أو قانونا لتفسير قوتك
العامة على التذكر — فما أفسس سيكلوجيتك !

على أن سيكولوجية الترابط — تعطى تفسيراً لكل حقيقة معينة من
حقائق التذكر . وهي اذ تفعل ذلك تعطى أيضاً تفسيراً للموهبة أو الطاقة
العامة .

ولهذا فان « طاقة » التذكر ليست تفسيراً حقيقياً أو نهائياً ، لأنها نفسها
تفسر نتيجة لتداعي أو ترابط الأفكار . وليس أسهل على من أن أبين لك
ماذا أعنى بذلك عينا .

افرض أنتى صامت لبرهة ثم أقول في نبرة أمرية : « أذكر . تذكر »
— فهل تطيع طاقة أو موهبة ذاكرتك أمرى وتلبى ندائى وتنتج أية صورة
محددة من ماضيك على الفور ؟

بالتأكيد .. لا .

انها تقف محملقة في الفراغ ثم تسأل :

« أى شيء تريد منى أن أتذكره وأستعيده من الماضى ؟ » .

أى إنها بالاختصار تريد مفتاحاً أو إشارة أو تلميحا تلج به ذلك الباب ولكن اذا قلت : اذكر تاريخ ميلادك .
أو اذكر ما تناولته فى الفطور اليوم .
أو اذكر تتابع العلامات فى السلم الموسيقى . . .
عندئذ تنتج طاقة ذاكرتك مباشرة النتيجة المطلوبة ، فالمفتاح أو الإشارة أو التلميح هو الذى يحدد ويقرر امكانياته الواسعة حيال نقطة معينة بذاتها .

وإذا نظرت الآن لترى كيف يحدث ذلك فانك تدرك مباشرة أن « المفتاح » شىء يرتبط ارتباطاً مماسية بالشىء المتذكر .
فالكلمات : « تاريخ ميلادى » ترتبط ارتباطاً وثيقاً مفروساً فى رقم معين — شهر وسنة .

والكلمات : « فطورى صباح اليوم » تقطع كل الخطوط الأخرى للتذكر ما عدا تلك التى تؤدى الى القهوة وشرائح اللحم والبيض .
والكلمات : « السلم الموسيقى » هى جيران عقلية راسخة الجذور لـ دو — رى — مى — فا — سول — لا — الخ .

إن قوانين الترابط تحكم فى الحقيقة كل تيارات سلسلة تفكيرنا ، إلا اذا قطعناها إحساسات تقحم نفسها علينا من الخارج .

إن كل ما يرد على العقل ينبغى أن يدخل — وعندما يدخل — فهو يدخل شريكاً مرتبطاً بشىء قائم هنالك أصلاً .

وتسحب هذه القاعدة على ما تذكره كما تسحب على كل شىء آخر تفكر فيه .

يبد أن قليلاً من التأمل سيبين لك أن هناك خصائص عجيبة فى ذاكرتك

قد تبدو كالنزوات التي لا تعليل لها ، اذا اضطررنا الى اعتبارها حصيله مجرد موهبة ، أو قدرة روحية بحتة .

فلو كانت الذاكرة طاقة أو منحة وهبت لنا لفائدتها العملية فحسب لكان لزاما علينا أن يكون أسهل شيء تتذكره هو أكثر شيء نحتاج الى تذكره ، ولما لعب تواتر التكرار والحدائث والجدة وما شابها أي دور في المسألة .

ولاعتبرنا أن تذكر الأشياء الكثيرة الوقوع ، والأشياء الحديثة الحدوث ونسياننا للأشياء البعيدة القديمة أو التي لم نمارسها الا مرة واحدة ، شذوذا لا يمكن فهمه أو تفسيره طبقا لوجهة النظر هذه .

ولكن إذا كنا نتذكر — بسبب ما عندنا من ترابطات وتداع ، وإذا كانت هذه (كما يعتقد علماء النفس الفسيولوجيون) راجعة الى مسالك مخنا المنظمة — لاتضح لنا بسهولة كيف تحتم سيادة قانون الحدائث والتكرار .

إن المسالك التي تم حريتها كثيرا وحديثا هي تلك التي تكون مفتوحة دائما وممهدة دائما وهي التي تتوقع منها أن تؤدي الى نتائج بسهولة عظيمة .

إن قوانين ذاكرتنا — كما نجدها — هي وقائع لتركيبتنا الترابطي ، وعندما تتحرر من أجسادنا ونموت — فمن المفهوم أنها لا تستمر في أداء وظائفها — فهي تموت بموت الجسد الحالة فيه .

بناء على ذلك نستطيع أن نفترض أن التذكر نتيجة لعمليات الترابط عندنا . وهذه العمليات نفسها هي في نهاية الأمر راجعة الى أعمال مخنا ومن صنعها على الأرجح .

وعندما تفصل موضوع طاقة الذاكرة ونصفه ، فعلينا أن نفرق بين الجانب الامكاني فيه كمخزن أو مجمع وبين الجانب الواقعي الفعلي فيه كتذكر الآن لحادث بعينه أو واقعة بعينها .

فذاكرتنا تحتوى كل أنواع وصنوف الموضوعات والمسائل التي لا تذكرها الآن ، ولكن التي قد تذكرها بشرط أن تتلقى المفتاح الكافي أو الاشارة الكافية .

وكلا الاختزان العام والتذكر الخاص يمكن تفسيرهما بالترابط أو التداعي .

والذاكرة المتعلمة تعتمد على نظام منسق للترابطات ، وصلاحيتها تتوقف على خصيصتين من خصائصها :

الأولى : على مثابة الترابطات وإصرارها .

والثانية : على عددها .

وستتناول كل واحدة منهما على حدة بالشرح والتحليل :

أولا — مثابة الترابطات واصرارها :

وهذه تعطى الفرد ما يمكن تسميته بكيف الاختزان الفطرى .

فاذا اعتبرنا — كما يتعين على أن أعتقد — أن المخ هو الوسط العضوى أو الظرف أو الشرط العضوى الذى ترتبط بوساطته آثار خبراتنا بعضها ببعض الآخر ، فاننا نفترض أن بعض الأمخاخ « كالشمع فى التلقى والأخذ ، وكالرخام فى الاختزان والامساك » .

إن أقل الانطباعات أثرا عليها ثبت وتستمر وتقيم : الأسماء — التواريخ

— الأشعار — القصص — المقتبسات من أقوال الغير تختزن بأثر

لا يحى وتظل عناصرها العديدة ثابتة الالتصاق بعضها ببعض بحيث ان الفرد سرعان ما يصبح موسوعة معلومات أو دائرة معارف تمشى على قدمين . كل ذلك يحدث بدون أى اتجاه أو منحى فلسفى فى العقل ، وبدون أى دافع لغزل ولنسج المادة المحصلة الى أى شىء يشبه النظام المنطقى .

فى كتب القصص ، وحديثا فى كتب علم النفس ، طالعنا حالات مسجلة حافلة « بالخوارق الوحشية » كما يحلو لنا أن نسميها — لهذه الذاكرة المنطقية . وأصحابها غالبا ما يكونون — لولاها — من أغبي الناس طرا . فهم إذن — طبعا — لا تتنافى مع عقل فلسفى بأية حال ؛ ذلك لأن الخصائص العقلية لها قدرات لانهاية على تغيير وتعديل نظام ترتيبها ، وعندما تتلاقى الذاكرة والفلسفة ويتحدان معا فى شخص واحد ، فهناك معا نجد أعلى مراتب الكفاية العقلية .

فأمثال والترسكوت Walter Scott وليينتز Libnitz وجلادستون Gladstone وجوته Goethe وكل هذه الطلائع الخلاقة وأشباهاها وأضرابها ونظرائها فى الانسانية تنتمى الى هذا النوع .

ويبدو أن الكفاية على هذا المنسوب الجبار ، والمرتمى الضخم ، تحتاج فعلا الى هذا التلاقى والاتحاد والدمج بين الذاكرة والفلسفة فى عقل واحد .

لأنه — على الرغم من أن عقلك الفلسفى أو عقلك المنظم بدون ذاكرة منقطعة جيدة (غير منظمة) قد يستطيع أن يحل المسائل ويخلص الى النتائج ويتذكر أين يجدها فى الكتب — الا أن الوقت الذى يضيع فى عملية البحث يعطل المفكر ، وبذلك يعطى الشخص الأكثر استعدادا ميزة التوفير وأفضلية الاقتصاد فى الوقت .

أما النوع المتطرف في التناقض مع هذا — أى النوع ذو الترابطات القليلة الثبات والمكث — فيوجد في أولئك الذين ليس عندهم ذاكرة متقطعة قط .

فاذا كانوا أيضا مصابين بنقص أو عجز في قدرتهم المنطقية والتنظيمية أطلقنا عليهم ببساطة : ضماف العقول ، ولا حاجة بنا هنا الى مزيد من الكلام عنهم .

ويمكننا أن نتصور أن مادة مخهم تشبه الهلام ، حيث يسهل بصم الانطباعات ، ولكن الهلام سرعان ما يمحو أثرها اذ يحتويها في سائله بحيث يعود المخ مرة ثانية الى حالته الأصلية من اللامبالاة ، أو عدم الاكتراث ، أو السواء .

ولكن قد يحدث هنا — كما يحدث تماما في كل المواد الهلامية (الجيلاتينية) — أن يرتج الانطباع ويهتز خلال المخ ويرسل موجات الى أجزاء أخرى منه . وفي حالات كهذه — على الرغم من أن الأثر أو الانطباع يتلاشى سريعا — إلا أنه فعلا يعدل الكتلة الدماغية لأن المسالك التي شقتها قد تظل باقية وتصبح مداخل عريضة يمكن للانطباعات أن تنسل منها ثانية وتتجدد مرة أخرى اذا قدر لها أن تثار مرة أخرى .

وقابليتها للتناسل والتجديد ستوقف طبعا على تنوع هذه المسالك ، وعلى مدى تكرارها وتواترها في الحدوث .

وكل طريق أو درب من هذه المسالك هو في الحقيقة عملية مرتبطة ، حيث يصبح عدد هؤلاء الشركاء — الى حد كبير — بديلا للتمسك أو التثبيت المستقل للانطباع الأصلي .

وكما كتبت في كتاب آخر :

إن كل واحد من هؤلاء الشركاء بمثابة خطاف ، أو كلاب يتعلق به الانطباع وشخص لاصطياده عندما يعوض في القاع تحت السطح — وانهما معا يكونان شبكة من الاتصالات والعلاقات يتم بوساطتها نسجها في نسيج تفكيرنا برمته .

ان « سر الذاكرة الجيدة » هو اذن سر تكوين ترابطات متنوعة متكاثرة بكل حقيقة نحرص على حفظها و تخزينها .

ولكن هذا التكوين للترابطات في حقيقته هل هو شيء آخر سوى التفكير في الحقيقة مرات كثيرة ما استطعنا الى ذلك سبيلا ؟

وبالاجاز اذن : عندنا رجلان يمارسان نفس الخبرات الخارجية الظاهرة .

فأما أحدهما الذي يفكر في خبراته الى أقصى حد وينسجها في أكثر العلاقات تنظيما وتنسيقا بعضها مع بعض ، فهو الرجل الذي يتمتع بأحسن ذاكرة جيدة فيهما .

لكن اذا كانت قدرتنا على تذكر شيء هي منوطة الى حد بعيد بترابطها مع أشياء أخرى تصبح بدورها مفاتيح لها أو إشارات — فمعنى ذلك أنه يترتب على هذه الظاهرة نتيجة بيداجوجية هامة :

لا يمكن احداث تحسين في طاقة الذاكرة العامة الاولية .

وانما يمكن فقط تحسين ذاكرتنا من اجل انظمة معينة لاشياء مترابطة .

وهذا التحسين الأخير راجع الى الطريقة التي يتم بها نسج الأشياء موضوع التنظيم في ترابط بعضها ببعض في العقل .

فاذا ما تم نسجها بعمق وتعقيد فانها تبقى وتحفظ ، واذا ما كانت

مفككة مقطعة الأوصال فانها تجنح الى أن تسقط وتناسب درجة هذا السقوط مع درجة ضعف الاختزان في المخ القطرى .

ولن يجدى فتىلا أى قدر من التدريب أو التكرار أو الممارسة أو الحفظ والالقاء التى تستخدم حيال مادة أى تنظيم للموضوعات .

فالنظام التاريخى مثلا القائم على التسلسل الزمنى لن يستطيع أن يحسن التيسير أو الاستمرار اللذين تحفظ بهما الموضوعات التى تنتمى الى أنظمة مختلفة ومتباينة ، اختلافا وتباينا كليا مثل نظام حقائق الكيمياء .

هذا النظام ينبغى أن يصطنع وحده فى العقل بنفسه . فالحقيقة الكيميائية التى يفكر فيها مرتبطة مع حقائق كيموية أخرى — تجنح الى الرسوخ والبقاء . والا فانها تسقط بسهولة .

وآذن فليس عندنا طاقة ذاكرة أو قوة حافظة بقدر ما عندنا طاقات ذاكرة كبيرة وقوى حافظة عديدة .

وهى تتكاثر بقدر ما يكون عندنا من نظم لموضوعات اعتدنا التفكير فيها مرتبطة بعضها ببعض .

إن أى موضوع معين يحفظ فى الذاكرة بوساطة الشركاء الذين حصلهم واكتسبهم بنظامه هو وحده .

إن تعلم حقائق نظام آخر لن تساعدنا مطلقا على البقاء فى العقل ، لسبب بسيط وهو أنه ليست لها « مفاتيح » فى نطاق هذا النظام الآخر .

ونحن نرى أمثلة لذلك واضحة فى كل مجال .

فمعظم الناس لديهم ذاكرة جيدة للحقائق المرتبطة باهتماماتهم ومساعيهم .

إن طالب الجامعة الرياضى الذى يظل غبيا ، بل وأبله ، بالقياس الى كتبه وعلومه — يدهشك بمعرفته بتفاصيل نتائج المباريات وكل ما يتعلق

بالألعاب الرياضية ويبرهن لك على أنه معجم للاحصاء الرياضى يشى على قدمين .

والسبب فى ذلك أنه باستمرار يستعرض هذه الأشياء فى ذهنه ويقارنها ويسلسلها ويوبها ، فهى تشكل له — نظاما أو جهازا لمفهومه — وليس مجرد حقائق كثيرة غريبة ، ولذلك تلتصق بذهنه .

وبنفس الطريقة يتذكر التاجر الأسعار ، والسياسى يتذكر خطب الساسة الآخرين ومجموع الأصوات التى نالوها فى الانتخابات بوفرة وغزارة ودقة تدهش السامع . ولكنك اذا عرفت مقدار تفكير هؤلاء الأشخاص فى هذه الموضوعات والآهتمام الذى يصفونه عليها سهل عليك تفسير السبب فى تمتع كل منهم بذاكرة « جبارة » .

الذاكرة العجيبة القادرة على تذكر الحقائق التى يظهرها داروين أو سبنسر أو من هم على شاكلتهما فى كتبهما ، لا تتنافى مع كون كل منهما وأشباههما لا يملك سوى عقل من المراتب المتوسطة بالقياس الى الاختزان أو الامساك الفسيولوجى . لو أن رجلا فى باكورة حياته أخذ على عاتقه مهمة اثبات نظرية مثل نظرية التطور فستجد أن الحقائق سرعان ما تتجمع وتلتصق به وتتعلق به كما تتعلق عناقيد العنب فى فروع الكرمة .

إن علاقاتها بالنظرية ستجعلها تناسك تماسكا وثيقا . وكلما كان العقل أقدر على تمييزها أصبح علم الباحث غزيرا وفيرا .

وفى الوقت نفسه قد يكون صاحب النظرية ضعيف الذاكرة المتقطعة أو معدومها .

فالحقائق التى لا جدوى له منها تمر من تحت أنفه فلا يراها ، واذا آآها فلا يلبث أن ينساها بمجرد أن يسمعها .

وقد يكون نصيبه من الجهل مساويا لنصيبه من العلم الغزير في ضخامته ويعيش الاثنان أحدهما مع الآخر في داخله ويختفى الجهل ويتوارى في طيات الفسحات الضيقة لنسيجه .

والذين ارتطموا في حياتهم بهذه الطرز من « جهاذة » المعرفة وجامى الأعقاب العلمية يستطيعون أن يتذكروا على الفور عينات من هذه العقول التي أشرت إليها .

إن أحسن نظام ممكن نسيج فيه موضوعا — عقليا — هو النظام المنطقي المنسق المعقول — أو ما يسمى « علما » .

ضع الشيء في خاتمه في نسق تصنيفى ، ثم فسر منطقيا بأسبابه وعلاته ، ثم استنتج منه نتائج الحتمية ثم ابحت عن القانون الطبيعي الذى يمثله . وعندئذ تعرفه بأحسن الطرق الممكنة .

فالعلم إذن هو أعظم ابتداع أو حيلة أو تدبير لتوفير الجهد المبذول فى العمل .

فهو يخفف عن الذاكرة عبء عدد هائل من التفاصيل، واضحا محلها ارتباطات ماسة وحسب ، بواسطة المماسات المنطقية القائمة على التشابه أو التشبيه أو التشخيص .

وإذا عرفت « قانونا » فانك تستطيع أن تفرغ ذاكرتك وتمفيها من حشود من الأمثلة الجزئية ، لأن القانون يتولى عنك انتاجها ثانية كلما احتجت إليها .

خذ مثلا قانون انكسار الضوء . إذا كنت تعرفه فانك تستطيع بورقة وقلم رصاص أن تميز فورا كيف تستطيع عدسة محدبة ، أو عدسة مقعرة ، أو منشور ، أن تغير منظر الشيء الواحد تغيرات عديدة-ولكن إذا كنت تجهل القانون العام فعليك أن تشحن ذاكرتك بكل واحد من الأنواع الثلاثة من التأثيرات على حدة .

إن النظام « الفلسفي » الذي تجد فيه كل الأشياء تفسيرها المنطقي وترتبط فيه معاً كاسباب ونتائج لأسباب — هو أكمل نظام لعون الذاكرة حيث يفضي أعظم اقتصاد في الوسائل الى أعظم ثروة في النتائج بحيث اننا اذا كنا لا نتمتع بذاكرة متقطعة فاننا نستطيع أن نقذف أنفسنا بتسمية الاتجاه الفلسفي للعقل .

يبد أنه توجد أنظمة مصطنعة كثيرة لعون الذاكرة ، بعضها شائع معروف ، وبعضها يباع كأسرار ، وكلها حيل لتدريبنا على طرق نمطية منهجية مجمدة للتفكير عن الحقائق التي ينبغي حفظها .
وحتى لو كنت عالماً بتلك الحيل فلن أستطيع هنا أن أفصل هذه الأنظمة تفصيلاً .

ولكنني سأقتصر على مثال واحد من النوع الشائع الشعبي لأبين لكم به ما أعنى .

فلنأخذ — حروف الهجاء المرقمة Number-Alphabet — الحيلة العظيمة لعون الذاكرة على تذكر الأعداد والتواريخ . في هذا النظام نجد أن كل عدد يمثله حرف ساكن فمثلاً :

- ١ يمثله ت أو د
- ٢ يرمز لها بالحرف ن
- ٣ يرمز لها بالحرف م
- ٤ يمثله الحرف ر
- ٥ يمثله الحرف ل
- ٦ يمثله الحرف ج و ش
- ٧ يمثله الحرف ك و ج و ق

٨ يمثلها الحرف ف ، ق

٩ يمثلها الحرف ب ، پ

١٠ يمثلها الحرف س ، ز

افرض الآن أنك أردت أن تتذكر سرعة سير صوت — ١٩٤٢ راقدا
في الثانية .

فالحروف ت — ت — ر — ن هي الحروف التي يلزمك استعمالها .
هذه الحروف تؤلف الحروف الساكنة ل تيت رن — وبذلك يكون
الجواب A Tight Run أى جرية مشدودة — لكى تحافظ على مثل
تلك السرعة المطلوبة .

وكذلك الأمر بالقياس الى ١٦٤٩ — وهو تاريخ تنفيذ اعدام شارل
الأول . هذا التاريخ يمكن تذكره بالكلمة sharp (حادة) التي تذكرك
بالبلطة التي تهوى على رأس الرجل فتشطره غن جسده . وبصرف النظر
عن الصعوبة القصوى في إيجاد الكلمات المناسبة في هذا التمرين ، فمن
الواضح أنها طريقة تافهة سخيصة ضعيفة في « التفكير » في التواريخ —
وان طريقة المؤرخ أفضل منها ، فهو يعرف كثيرا من التواريخ الهامة التي
تعتبر علامات أو دلالات حاسمة في سجل الزمن ويحفظ منها مقدارا كبيرا
في عقله . ثم انه يعرف تسلسل الأحداث التاريخية ويستطيع عادة أن يضع
الحادث في تاريخه الصحيح في سجل الترتيب الزمني بأن يفكر فيه بطريقة
منطقية ويرجمها الى سوابقه التاريخية ويقتنى أثر ما صاحبه من أحداث
وما ترتب عليه من نتائج وبذلك يتحقق من تاريخه بربطه بتاريخها .

أما الأنظمة المصطنعة للذاكرة التي تحبذ طرقا غير منطقية للتفكير ،
فلا يصح التوصية بها الا لتذكر علامات الطريق الأولى فقط في نظام ما

أو لحفظ حقائق منفصلة ليس بينها وبين بقية أفكارنا ارتباط منطقي معقول .

وعلى ذلك فإن دارس العلوم الطبيعية قد يتذكر ترتيب ألوان الطيف عن طريق كلمة تتكون من الحرف الأول لكل لون من تلك الألوان وهي vibgyor ، ودارس علم التشريح قد يتذكر موضع الصمام التاجي على الجانب الأيسر للقلب بأن يفكر في أن الحرفين ل . م يمثلان أيضا وزن الشعر الطويل وهما الحرفان الأولان (من long meter) في كتب الترانيم .
تستطيع أن تتبين الآن السبب في أن الحشو أو الإفعام لا بد وأن تكون طريقة ضعيفة مفلسة للمذاكرة .

ذلك أن هدف الحشو هو إصاق الأشياء بالتطبيق الواسع — مباشرة قبل محنة الامتحان ولكن الشيء الذي يَتَسَعَّلَمُ على هذا النحو لا يستطيع أن يَكُونْ إلا ارتباطات قليلة :
هذا من جهة .

ومن جهة أخرى فإن تكرار نفس الشيء في أيام مختلفة في محتويات مختلفة — وتلاوته والاشارة اليه مرة بعد أخرى — مرارا وتكرارا مرتبطا بأشياء أخرى ثم إعادة استعراضه يجعله يتغلغل ويرسخ في التركيب العقلي .

وهذا هو السبب في لزوم فرضك على طلابك لزاما عادات التطبيق المستمر .

لا توجد قباحة خليقة في الحشو أو الإفعام .

لو أنها كانت تؤدي الى النتائج المرغوب فيها لكانت أفضل طريقة للاستذكار لأنها أكثرها توفيراً واقتصاداً .

ولكنها لا تؤدي للنتائج المرغوب فيها . ولعل طلابكم القدامى هم أول من يستطيعون أن يدلوكم على السبب في كونها ليست كذلك .

بناء على ذلك — وفي ضوء ما سبق لنا قوله — فإن الفكرة الشائعة القائلة بأن « الذاكرة » بمعنى أنها طاقة أولية عامة ، من الممكن تحسينها بالتدريب ، فكرة خاطئة خطأ فاحشا .

إن « ذاكرتك » بالقياس الى حقائق من نوع معين يمكن تحسينها جدا بالتدريب على هذا النوع من الحقائق . ان الحقيقة الجديدة الوافدة ستجد أنواعا كثيرة من الشركاء والرفقاء موجودة من قبل لاستقبالها وهؤلاء الرفقاء أو الشركاء سينزلونها في أكرم ساحة ويحفظونها ويصونونها ويجعلون تذكرها أمرا مسورا .

ولكن الأنواع الأخرى من الحقائق لن تنتفع بهذه الميزة ، ولن تجد لها رفاء وشركاء يكرمون وفادتها ، ومالم يكن الشخص قد درب من قبل وحذق فصيلتها وتعمق فيها ، فانها ستكون تحت رحمة قابلية الفرد الفجة للاختزان فحسب . وهذه القابلية — كما نعرف — تكاد تكون ثابتة القدر .

ومع ذلك فعابا ما نسمع بعض الناس يقولون : « لقد ارتكبت في حقي اثم عظيم في صدر حياتي . لقد أخضقت أسادتتي في تدريب ذاكرتي . لو أنهم كانوا جعلوني أحفظ أشياء كثيرة عن ظهر قلب في المدرسة لما كانت هذه هي حالي اليوم — كثير النسيان لكل ما أقرأ أو أسمع » .
وهذا خطأ جسيم .

ان حفظ الشعر عن ظهر قلب يجعل من السهل حفظ وتذكر شعرا آخر — ولا شيء سواه — وكذلك الأمر بالقياس الى التواريخ والكييا والجغرافيا .

ولكنى واثق — بعد كل الذى قلته — أنكم تحتاجون الى مزيد من النقاش حول هذه النقطة ، ولذلك سأدعها تمر مر الكرام .

ولكن — حيث ان هذه النقطة قد أوصلتني الى الكلام عن حفظ الأشياء عن ظهر قلب فلا جناح علىّ من ذكر ملاحظة عملية عامة عن التذكر اللفظي .

ان المبالغات التي طفح بها الكيل في التذكر اللفظي بالطرق العتيقة — والفوائد الكثيرة من دراسات الأشياء بوسائل الايضاح في المراحل المبكرة للثقافة أفضى بأولئك الذين يفلسفون عملية التعليم الى رد فعل قوى بزيادة في غير محلها .

ولقد أصبح حفظ الأشياء عن ظهر قلب الآن يقابل بالازدراء .

اذ — في نهاية الأمر — تبقى حقيقة لا سبيل الى دحضها وهي أن المادة اللفظية بصفة عامة هي أيسر المواد منالا وأكثرها نفعا ليم التفكير بها .

ان المفاهيم المجردة هي أكثر ألوان التفكير اقتصادا ، والمفاهيم المجردة ثابتة ومتجسدة لنا في كلمات أو ألفاظ .

ولقد دل البحث الاحصائي على أنه كلما تقدم الناس في الحياة جنحوا الى الاقلال من استعمال الصور البصرية ومالوا الى الاكثار من الكلمات .

ومن أول الأشياء التي كشفها العالم جالتون Galton ان هذه كانت الحالة التي وجد عليها أعضاء الجمعية الملكية Royal Society الذين وجه اليهم أسئلة بشأن صورهم الذهنية .

لذلك يتعين على أن أقول ان التمرين المستمر في التذكر اللفظي ينبغي أن يظل عنصرا لا يمكن الاستغناء عنه في أي تربية سليمة .

لا يوجد شيء يدعو الى الرثاء أكثر من ذلك النوع من العقل العاجز المشوش الذى يقتضى منا دائما أن نذكره بكل شيء من اقتباس يريد الاستشهاد به أو حالة يبرهن بها على موضوع بين يديه أو قصة يعنى سردها — وهو عاجز تماما عن تذكرها .

ولا يوجد شيء أدمى الى الارتياح والاعتباط والابتهاج لصاحب العقل القادر ولأصحابه أيضا من تميزه بذهن متمكن قوى قادر على قص قصة ، أو إعادة حديث على السامع بنصه ، أو الاستشهاد الفورى بحديث مقتبس باسناد صحيح كامل .

فى كل فروع الدراسة توجد نصوص أو تفسيرات ذات تنسيق بديع وإيجاز بارع وتبسيط ميسر يخص نتائجها بطريقة فريدة فذة .

والعقل الذى يستطيع أن يحفظ ويخترن هذه النتائج هو عقل ممتاز متفوق — وينبغى أن يكون اتصال هذه النتائج الى الطالب من ألد الأعمال عند المعلم وأشهاها الى نفسه .

يبد أن التعليم بالحفظ عن ظهر قلب له طرق ناجعة نافعة وطرق مختلة ممثلة . ولكى يجعل المعلم طالبا ماهرا فى الطريقة الناجعة النافعة ، فعليه أن يثير شغفه واهتمامه ويخفف عليه العبء ويختصر الجهد .

وأحسن طريقة ناجعة نافعة طبعا لا تكون بدق الجمل فى رأسه كما تدق المسامير بال تكرار فحسب ، ولكن بتحليلها ثم التفكير فيها .

فمثلا اذا كان على الطالب أن يتعلم هذه الجملة الأخيرة دعه أولا ينزع لب أجروميتها ثم يحفظ :

« ان أحسن طريقة ليست بالدق ولكن بالتحليل » . ثم يضيف اليها العبارات الاسهابية والعبارات الاعتراضية قطعة قطعة على هذا النحو —

« ان أحسن طريقة — طبعا — ليست بدق الجمل في الرأس كما تدق المسامير ، ولكن بتحليلها ثم التفكير فيها » وأخيرا أدخل الكلمات :

« بالتكرار فحسب » .

فتصبح الجملة كاملة .

ويصبح الطالب أكثر فهما لها وأسرع تذكرها لها مما لو تعلمها بالطريقة الآلية البحتة .

وأخيرا أرى لزاما على أن أقول كلمة عما أسهم به علماء النفس المعلميون في المدة الأخيرة بالقياس الى معرفتنا عن الذاكرة .

كثير من المتحمسين لدراسة الطفل العلمية أو ما تسمى بدراسة الطفل بالآلات النحاسية بدأوا يقيسون قدرات الطفل الأولية قياسا مضبوطة. ومن بين هذه القدرات توجد قدرة نطلق عليها الذاكرة المباشرة أمكن قياسها بسهولة .

فكل ما نحتاج اليه هو أن نعرض للطفل سلسلة من الحروف والمقاطع والأشكال والصور الخ الخ .. على فترات متقطعة من ثانية — ثابنتين وثلاث ثوان أو أكثر أو أن ننطق بسلسلة ماثلة من الأسماء على نفس الفترات المتقطعة على مسمع منه ، ثم ننظر كيف يستطيع الطفل أن يسترجع القائمة إما فورا أو بعد فترة عشر أو عشرين أو ستين ثانية ، أو بعد فترة من الزمان أطول من ذلك .

وطبقا لنتائج هذا التمرين يرتب الطلاب على سلم تدريجي للذاكرة . — وبعض الأشخاص يذهبون بعيدا جدا في الأخذ بنتائج هذا السلم

التدريجي لدرجة أنهم يطالبون المعلم بتعديل معاملته للطفل طبقا لقوة أو ضعف قدرته كما كشف عنها هذا النوع من الاختبار أو التمرين .

ولا أستطيع الا أن أردد هنا ما سبق لى أن قلته لكم عندما عالجت موضوع الاتباه . ان الانسان كائن معقد جدا — وهو أعقد من أن يلقى ضوءاً أعلى كفايته الحقيقية بقياس أية طاقة عقلية مفردة جزئية معزولة من المجموع الكلى لبقية القدرات التى تعمل بها .

إن مثل هذا الاختبار أو التمرين الذى يتعلق بأشياء مفككة تافهة لا يوجد بينها ارتباط منطقي ، وليست لها أهمية عملية خارج هذا الاختبار ، أقول ان مثل هذا التمرين لا يوجد له شبيه فى الحياة الفعلية تضطر الى أدائه .

ففى الحياة الفعلية الحقيقية تكون ذاكرتنا دائما فى خدمة مصلحة معينة . فنحن نتذكر الأشياء التى نعى بها ويهنا أمرها أو التى ترتبط بأشياء نعى بها ويهنا أمرها والطفل الذى يكون ترتيبه فى أسفل سلم الذاكرة . فى مثل هذا الاختبار والتمرين عندما يكون فى حالة انفعال شديد حيال موضوع ما وبسبب الترابط المنطقى الذى ينسج فيه المواد الحقيقية لخبرته فانه يصبح من أشد الناس كفاية فى التذكر والحفظ ويؤدى أعماله المدرسية بصفة عامة على نحو أفضل من ذلك البيغاء الذى قد يكون ترتيبه فى أعلى سلم التذكر على هذه القائمة « الصحيحة عليا » .

إن رجحان كفة الاهتمام والشغف والانفعال الشديد والهوى فى تقرير نتائج ومصاير حياة العمل عند الانسان تنسحب على كل فرد فى كل زمان ومكان .

لا يوجد قياس أولى يمكن اجراؤه فى المختبر يستطيع أن يلقى أى ضوء على الكفاية الحقيقية لمن تجرى عليه التجربة أو يخضع للقياس ؛

لأن الحقيقة الحيوية الهامة فيه وهى طاقته الخلقية والانفعالية وعزمه واصراره لا يمكن قياسها بتجربة واحدة مفردة ، ولكنها تعرف فقط بالنتائج الكلية فى المدى الطويل .

ان رجلا أسمى مثل هيوبر Huber يهوى النحل والنمل يستطيع أن يلاحظ من خلال عيون الآخرين أحسن مما يلاحظها هؤلاء من خلال عيونهم أنفسهم .

ان رجلا ولد بلا ذراعين ولا ساقين مثل كا فاناغ Kavanagh الذى كان يعمل بالشرطة الحربية ... كم كان قلب أمه قاسيا عليه وغليظا فى طفولته . وكم كانت تكون نتيجة القياسات العملية لوظائفه الحركية سلبية ! ما الذى يفسر لنا كيف استطاع هذا الرجل أن يكون رحالة مغامرا وفارسا ورياضيا يعيش فى الخلاء والهواء الطلق بدلا من أن ينطوى على نفسه قعيد بيته ؟ .

لقد درس الأستاذ رومانيه Romanés النسبة الأولية للادراك الذاتى لدى عدد كبير من الأشخاص بأن طلب منهم أن يقرأوا فقرة بأسرع ما يستطيعون ثم يدونون مباشرة ما يستطيعون استرجاعه من محتوياتها . ولقد وجد فروقا تثير العجب والدهشة فى السرعة ، فبعضهم كان يحتاج الى وقت يبلغ أربعة أمثال الوقت الذى استغرقه غيرهم — ليهضموا الفقرة . وأسرع القارئین — كقاعدة — هم أيضا أحسن الذين يتذكرون ما قرأوا على الفور .

ولكنهم ليسوا — وهذه هى أهم نقطة فى وجهة نظرى — أقدر المفكرين كما دلت على ذلك نتائج اختبارات الأستاذ رومانيه Romanés ، وكما أسماها بحق « العمل الفكرى الأصيل » لأنه أجرى

التجربة على عدد من أعلى الناس تفوقا وامتيازاً من رجال العلم والأدب ووجد أن معظمهم كانوا قراء بيطيين .

في ضوء كل هذه الحقائق نعتقد أن الفكرة العامة التي يكونها المعلم البصير عن حالة طالبه كما يدل عليها مزاجه العام ومسلكه ، وخفته وتيقظه ونشاطه ، أو غفلته وبلادته ولا مبالاته والسهولة التي يؤدي بها عمله المدرسي أو العنت والفضى اللذان يجعلانه كمن ينحت من صخر في أدائه ... هذه الفكرة العامة أكثر قيمة وأجدي دلالة من تلك الاختبارات المفتعلة التي لا تمت الى الواقع بسبب ، وتلك القياسات الأولية المتحدقة للتعب والذاكرة والتداعي والاتباه وهلم جرا التي تذف علينا وتحمم فينا على اعتبار أنها الأساس الوحيد لتربية علمية أصيلة .

مثل هذه القياسات لا تستطيع أن تمدنا بمعلومات مفيدة إلا اذا قرناها بملاحظات نسجلها — بدون الأدوات النحاسية — عن الحالة الكلية والمزاج الكلي للفرد الذي قيسه. على أن يقوم بذلك معلمون لهم عيون وبصائر يبصرون بها ، وبصيرة نافذة يدركون بها ، وشعور غامر بالاحساس بالعطف والتقدير حيال حقائق الطبيعة البشرية تبض به قلوبهم .

إذا اعتمدنا على ذلك فلن يكون هناك منبذون في مدارسنا نذريهم ونرهبهم من أمرهم عسراً لمجرد أننا استكشفتنا فيهم قصاً أو عجزاً في أية قدرة أولية أو طاقة من قدرات أو طاقات الفعل .

إن الممول عليه في الحياة هو العقل كله ، وهو يعمل ككل ، أما نواحي التصور أو العجز في أية قدرة أو طاقة فيمكن أن تهوم بقية القدرات أو الطاقات بتعويضها .

إنك تستطيع أن تكون فناناً بدون الصور البصرية وقارئاً بدون عينين

وتستطيع أن تكون غزير العلم وافر المعرفة ودسم المعلومات وأنت صاحب ذاكرة أولية سيئة ضعيفة .

في أى موضوع تريد درسه ، ان كان فؤادك يهوى اليه ، وانفعالك شديدا حياله ، فثق بأنك ستمضى الى غايتك اذا كانت نتيجة دراستك تهلك .

اذا كنت تريد أن تثرى ، فستثرى . واذا كنت تبتغى أن تصبح عالما ، فستصبح عالما . واذا كنت تواقا الى أن تكون خيرا فستكون خيرا . والشرط الوحيد لكى تكون كذلك هو أن ترغب حقا وفعلا وصدقا في أن تكون كذلك .. وأن تقتصر رغبتك على ذلك ولا ترغب في الوقت نفسه في احراز أهداف متناقضة ، وبنفس القوة .

من أعظم الاستكشافات الهامة من النوع « العلمى » التى كشفت حديثا في علم النفس كشوف الأستاذ جالتون Galton وآخرين المتعلقة بالاختلافات المتباينة بين الأفراد في نمط التصور أو التخيل الخاص بهم . ومن الحقائق الشائعة المألوفة لنا جميعا — حقيقة أن الناس يختلفون اختلافا كبيرا في بهائم ورونقهم وكفايتهم واكتمالهم وقدرتهم على التحديد ومدى صورهم البصرية .

هذه الصفات تكتمل — فرادى — في عدد كبير من الأفراد وعند القلة تكون بحالة ابتدائية بحيث لا تكاد توجد .

وهذا صحيح بالقياس الى الصور السمعية والحركية وربما بالقياس الى كل الصور . والاستكشافات الحديثة لمناطق المخ المتعددة للحس — تمدنا بأساس عضوى جسمانى لوجود هذه التنوعات والاختلافات .

وهذه الحقائق — كما قلت — أصبحت اليوم شائعة ذائعة بحيث لا أحتاج الى أكثر من تنبيهكم الى وجودها .

وقد يبدو من النظرة الأولى أنها حقائق ذات أهمية عملية للمعلم . وفعلا لقد أوصى المعلمون بتصنيف طلابهم بهذه الطريقة ومعاملتهم كيفما تقتضى النتيجة .

فعليكم — كما يقال — أن تسألوهم عن تصورهم في الكلام ، أو تعرضوا قوائم لكلمات مكتوبة أمام أعينهم، ثم تروا بعد ذلك في أى مجرى يختزن الطفل معظم الكلمات . وبعد ذلك في تعليمك لهذا الطفل ومعالجة أموره ، اجعل هذا المجرى نصب عينيك أساسا واتبع مساره ومداره في اثاره اهتمامه وشغفه .

وإذا كان عدد الفصل صغيرا فيمكن الحصول على نتائج واضحة بلا شك بهذه الطريقة على يد معلم شديد الدقة وكثير البذل .

ولكن من الواضح أنه في الفصل العادى لا يمكن اللجوء الى مثل هذا الفيصل . والدرس العملى الوحيد المفيد الذى ينبثق من هذه السيكولوجية التحليلية في قيادة المدارس الكبيرة العدد ، هو الدرس الذى وصلنا اليه فعلا بالطريقة العملية البحتة — طريقة الممارسة التجريبية الفعلية — وهو أنه يتعين على المعلم أن يؤثر في الفصل ويلجأ الى أكبر عدد ممكن من المسالك المعقولة ولا يقتصر على مجرى واحد .

تكلم واكتب وارسم على السبورة ، واسمح للطلاب بأن يتكلموا ويرسموا . اعرض صوراً ورسوماً ومنحنيات بيانية — لوز أشكالك الهندسية بألوان مختلفة في أجزائها المختلفة الخ الخ .

ومن بين كل هذه الانطباعات المتنوعة سيجد كل طفل على حدة أكثرها بقاءً بالنسبة اليه .

وفي كل أعمال المدارس الابتدائية نجد اعترافاً وتقديراً لمبدأ الانطباعات المتعددة ، لذلك لا داعى لأن أتحدث عنه أكثر من ذلك هنا .

إن هذا المبدأ القائم على تكثير وتمدد المسالك وتنوع الرابطات وطرق الاستمالة والاثارة في غاية الأهمية — ليس فقط لتعليم الطلاب ليتذكروا ولكن لتعليمهم ليفهموا .

هذا المبدأ — يسرى — في الحقيقة على فن التعليم برمته .

بقيت كلمة واحدة بشأن الجزء اللاشعوري المستحيل الاسترجاع مما نحصله ، وبمعدنذ آكون قد فرغت من موضوع الذاكرة .

لقد اصطنع البروفسور ابنجهاوس Ebbinghaus طريقة لقياس نسبة النسيان عندنا في بحث صغير مقدم عن قوانين الذاكرة أجراه منذ اثني عشر عاما أو أكثر بطريقة حفظ قوائم من المقاطع التي لا معنى لها .

وهذا البحث يضع أمامنا — عاريا — قانونا هاما من قوانين العقل .

وكانت طريقته قائمة على أن تقرأ قائمته حتى تصبح قادرا على تكرارها مرة عن ظهر قلب بلا توقف . وكان عدد مرات التكرار المطلوبة لذلك مقياسا لصعوبة الحفظ في كل حالة معينة .

والآن بعد أن تعلمنا قطعة وحفظناها بهذه الطريقة ، لو أننا انتظرنا خمس دقائق لوجدنا من المستحيل تكرارها مرة ثانية بلا توقف كما فعلنا أول مرة . اذ يتحتم علينا قراءتها مرة ثانية لحياء بعض المقاطع في أذهاننا التي تكون قد سقطت أو بدلت وعكست .

ولقد درس ابنجهاوس بانتظام عدد مرات القراءة الثانية التي كانت لازمة لحياء التذكر الموصل للقطعة بعد مرور خمس دقائق — نصف ساعة — ساعة — يوم — أسبوع — شهر .

واتخذ ابنجهاوس عدد القراءات الثانية المطلوبة في كل حالة لحياء التذكر الموصل مقياسا لكمية النسيان التي حدثت في الفترة التي مرت بين الحفظ والتذكر .

ولقد وجد بعض حقائق جديرة بالتنويه .

فعملية النسيان بصفة خاصة أكثر سرعة في مبدأ الأمر مما هي بعد ذلك .
وعلى هذا فإن نصف القطعة كله ينسى في خلال نصف الساعة الأولى .

وثلاث القطعة ينسيان في نهاية ثمان ساعات ، ولكن أربعة أخماس القطعة
فقط تنسى في نهاية شهر . ولم يتجاوز ابنجهاوس هذا الحد في تجاربه .

ولكن إذا فرضنا جدلاً أننا أطلنا منحنى التذكر الحاصل في بدايات
التجارب لابنجهاوس ، فمن الطبيعي أن نفترض أنه مهما يكن طول الوقت
الذي يفوت فإن المنحنى لن ينزل أبداً الى درجة من الهبوط بحيث تمس
خط الصفر .

وبعبارة أخرى مهما يبطل الوقت الذي مضى علينا منذ حفظنا قصيدة
من الشعر ، ومهما يكن عجزنا كاملاً عن استرجاعها الآن إلا أن الحفظ
الأول لها ستظل آثاره عالقة وتجلي في اختصار الوقت المطلوب لحفظها
ثانية .

وموجز القول أن تجارب الأستاذ ابنجهاوس تبين أن الأشياء التي
لا نستطيع أن نذكرها بصفة قاطعة قد تركت مع ذلك بصاتها وانطباعاتها ،
على نحو ما على تركيبنا الذهني ، وأتينا لم نسلم من تغيير ما لكوننا قد
حفظناها يوماً ما — وأنها أثرت فينا على الرغم من أنها أصبحت نسياً
منسياً .

والسبب في ذلك أن المقاومات الموجودة في نظم مسالكنا الذهنية قد
تغيرت ، وأن مخاوفنا قد تحركت وزادت سرعتها ، وأن النتائج التي نستنتجها
من مقدمات معينة ليست هي النتائج نفسها التي كنا نصل إليها إذا لم تكن
هذه التعديلات قد حدثت .

فهذه التعديلات تؤثر في الاطار الكلى لوعينا على الرغم من أن حصيله أو منتجات هذه التعديلات — لكونها غير ممكنة الاسترجاع الواضح — لا تتجلى مباشرة في بؤرة مجال الوعي .

وعلى المعلم أن يستخلص درسا من هذه الحقائق — كلنا نجح الى قياس تحصيل طلابنا بقدرتهم وكفايتهم في الاسترجاع المباشر بالتسميع الشفوي أو الامتحان التحريري للمواد التي درسوها وحفظوها — كما هي .

أما قوة الإنفصال أو عدم التحديد والتمييز فيها فأمر نبخس قيمته دائما . فالولد الذي يقول لنا : « أنا أعرف الاجابة ولكن لا أستطيع أن أقول ما هي .. » فاننا نصدر عليه نفس الحكم الذي نصدره على ولد آخر لا يعرف أمـ شـىء عن الإجابة مطلقا . وهذا خطأ كبير .

ان قدرتنا على التذكر الاسترجاعي المميز — ليست سوى جزء ضئيل من خبرتنا في الحياة ، ومع ذلك فانها تتخذ فيصلا لتشكيل سلوكنا وتحديد اتجاهاتنا في الحكم والتصرف .

وعلى الرغم من أن الذاكرة المستعدة المليئة المواتية نعمة كبرى على صاحبها — الا أن الذاكرة الأقل تلبية وأكثر ابهاما حيال موضوع ما سبق لها دراسته أو التعرض له أو لجيرانه أو لكيفية الوصول الى تذكره واسترجاعه مرة ثانية وطريقة البحث عن مصدره ... ذلك كله هو لب وثمره التعليم لدى معظم الرجال والنساء .

وهذا صحيح — حتى في التعليم المهني .

فالطبيب أو المحامي قلما يكونان قادرين على البت في حالة غفو الخاطر .

وهما يختلفان عن غيرهما ممن ليسوا أطباء ولا محامين ، بحقيقة واحدة فقط ؛ وهى أنهما يعرفان كيف يحصلان على المواد اللازمة للبت فى الحالة فى خمس دقائق أو نصف ساعة ، فى حين يعجز الرجل العادى عن الحصول على تلك المواد قط ؛ لأنه يجهل الكتب والمراجع والأصول ولا يفهم الاصطلاحات الفنية المتعلقة بالموضوع .

لذلك أناشدكم أن ترفقوا بالعقول التى لا تحصل على درجات عالية فى الامتحانات — ترفقوا بها ترفقا حانيا بصيرا — فقد تنفتق هذه العقول فى امتحان الحياة الطويل عن قدرات أعظم ومهارات أقدر واقتمالات أعمق وأهداف أقوم سيلا وأجدر بالنفع والافادة من تلك العقول الذرية القادرة على الاسترجاع الفورى .

إن الفريق الذى ندمغه بالمعجز والإخفاق لحصوله على درجات ضعيفة فى الاختبارات الاسترجاعية — قد يكون هو الفريق الذى ينبج لنا عقولا وآثارا فى الحياة بالغة الأهمية بالقياس الى ما نستطيع إنتاجه وأداءه وإجراؤه .

هذه هى النقاط الرئيسية التى بدا لى أنها جديرة بأن أقدمها بين يديكم وأضعها تحت أنظاركم تحت موضوع الذاكرة .

ويمكننا أن نلخص هذه النقاط لفائدتكم العملية بأن نقول .

إن فن التذكر هو فن التفكير .

وبأن نضيف — متفقين مع الدكتور بيك Pick بأننا عندما نرغب فى تثبيت شىء جديد اما فى أذهاننا أو أذهان أحد طلابنا فينبغى ألا نركز مجهودنا المقصود الواعى فى لصقه واختزانه بقدر ما نركزه فى ربط الشىء الجديد بشىء قائم راهن موجود أصلا .

هذا الربط أو التوثيق هو التفكير. وإذا تمعنا بوضوح في الارتباط وأولياته حقه من الرعاية والعناية والاهتمام — فيثبت بالتأكيد — الشيء المرتبط ويبقى في نطاق التذكر — مستعدا للتلبية .

موضوعنا التالي الذى سنعالجه معا ونضعه موضع اعتبارنا — هو السبيل التى نحصل بها على المعرفة الجديدة — سبيل « الإدراك العقلى الذاتى » كما يسميه أهل الذكر — الذى نستقبل به الخبرات الجديدة وتتصرف حيالها ثم نراجع به أفكارنا لكى نكون مفاهيم جديدة أحسن وأنضج من سابقها .